بسم الله الرحمن الرحيم, الحمد لله رب العالمين, والصلاة, والسلام على أشرف الأنبياء, والمرسلين, سيدنا محمد, وعلى آله, وصحبه أجمعين.

أما بعد

فإن الله – عز وجل– خلق الخلق لعبادته, كما قال سبحانه, وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ(57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:58].

وقال سبحانه, وتعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة:5].

قال سبحانه, وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:22].
فمن هذه الآيات يتبين أن الله خلق الخلق لعبادته لم يخلقهم لشئ سوى ذلك, فأصل الوظيفة التي خُلِق لها الإنسان أن يعبد الله وحده لا شريك له, أن يعبد الله وحده دون سواه.

والعبادة لا تُعرَف إلا من طريق الرسل, فمن زعم أنه يعرف العبادة من غير طريق الرسل فقد ضلّ وأضلّ, كما حصل لأصحاب الطرق الصوفية, وأمثالهم الذين يقولون أنهم ينتمون للنبي صلى الله عليه, وسلم أو أنه ينتمي أحدهم لله فهذا كله من حيل

الشياطين, الشيطان يتنزل لهذا الإنسان فيزعم له أنه رسول الله, أو يتنزل أيضًا فيزعم له أنه الله, وربما يُلقي عليه شيئًا يزعم له بأنه عبادة وهو ليس كذلك.

فالعبادة لا تُعرَف إلا من طريق الرسل الذين أرسلهم الله عز, وجل إلى الناس في هذه الدنيا.

والرسالات بدأت من نوح, وانتهت بمحمد -صلى الله عليه وسلم-، وقد بسط الله -عز وجل- لنا أخبار الرسل, وأخبار أممهم التي كذّبت فعوقبت, أخبار هؤلاء قد بسطها الله —عز- وجل- في كتابه, وأخبر أنه ما بعث رسولاً -إلا أنه- إلا وأنه يأمره بعبادة الله وحده ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:36].

وقال —سبحانه وتعالى- : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:25].

وأخبر الله -عز وجل- في مقام التفصيل أنه ما من رسولٍ يُرسل إلا وهو يقول لقومه ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ .

الرسل بينت الرسل بينوا -صلوات الله وسلامه عليهم- وبلّغوا الرسالات إلى الأمم, ومن الأمم من تقبّل تلك الرسالات, ومن كذب وعوقب.

فلهذا, النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما أرسله الله أوحى إليه الخمس الآيات الأولى من سورة اقرأ, وأوحى إليه فاتحة المدثر ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ(1)قُمْ فَأَنذِرْ(2)وَرَبَّكَ

فَكَبِّرْ(3)وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ(4)وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ(5)وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ(6)وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[المدثر:7].

أمر الله –عز وجل- الرسول بإبلاغ الرسالة إلى الناس, أمره أن يدعوهم إلى عبادة الله وحده, فماذا قال له قومه حين قال لهم يا قومِ قولوا لا إله إلا الله تُفلِحوا, قولوا لا إله إلا الله كلمةً تملكون بها العجم, وتدين لكم بها العرب, قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص:5], وحصل بينه وبينهم من الحوار, والمناقشات, والخصام ما حصل, ثم بقي على هذا عشر سنين لا يأمر أحدًا بشئ غير التوحيد, يقول للناس: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[هود:84].

وهكذا حتى أُثري به إلى بيت المقدس, وعُرِج به إلى السماء, وفرض الله عليه الصلوات الخمس بعد عشر سنين من بدأ الرسالة, ثم بعد ذلك أمر الناس بالصلاة, وهكذا بقي ثلاث سنوات لا يأمر أحداً بشئ غير التوحيد والصلاة حتى سافر إلى هاجر إلى المدينة, وبعد هجرته استقر في المدينة ثم أوحى إليه ربه –سبحانه وتعالى- بسائر الفرائض كالصوم, والزكاة, والحج, وما أشبه ذلك, وتحريم الفواحش, وبر الوالدين, وما إلى ذلك, هذا كله إنما حصل بعد قدومه –صلى الله عليه وسلم- للمدينة, وظل القرآن يتنزل عليه بالأحكام الشرعية شيئًا فشيئًا.

إذن الذي يجب هو البدء بالتوحيد, الذي يجب هو البدء بالتوحيد.

إذا علمنا أن العبادة التي أمر الله –عز وجل- بها لا تُعرَف إلا من قبل الرسل –صلوات الله وسلامه عليهم- الذين جعلهم الله وسائط بينهم وبين خلقه, يُوحي إليهم بواسطة جبريل, وجبريل يبلغ الرسل, والرسل يبلغون قومهم.

إذن فالعبادة لابد أن تُؤخذ من قِبل الرسل –صلوات الله وسلامه عليهم-، وفي شريعتنا لا تُؤخذ إلا من طريق نبينا –صلى الله عليه وسلم- إذ أن كل باب إلى الجنة فهو مسدود, وكل باب إلى النار فهو مسدود، إلا باب النبي –صلى الله عليه وسلم-.

فعليك يا عبد الله أن تتعلم أن تتعلم التوحيد من كتاب الله —عز وجل- القرآن, وما أكثر ما تحدث القرآن عن التوحيد.

كذلك أيضًا سنة النبي –صلى الله عليه وسلم- وستعلم حينئذٍ أن التوحيد هو أساس العبادة, وأساس الدين, فلا تُقبل العبادة إلا بالتوحيد, فمن عبد الله وحده صحّت عبادته, ومن عبد الله –عز وجل- وعبد معه غيره فإن عبادته مردودة.

الله –سبحانه وتعالى- يقول لنبيه –صلى الله عليه وسلم- :﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزمر:65], فإذا كان النبي –صلى الله عليه وسلم- هُدد بهذا فغيره من باب أولى, النبي الذي هو أكرم العباد على الله, وأقربهم إليه وسيلة, وأعلاهم عنده جاهًا لو حصل منه الشرك لحبط عمله, فكيف بغيره!

فيا عبد الله اعلم أن العبادة لا تُقبل إلا بأن تكون خالصةً لله _عز وجل_ دون سواه, فمتى أشركت فخلطت مع عبادة الله عبادة غيره فإن عملك يكون مردودًا, وحابطًا, وفي الحديث القدسي أن الله –عز وجل- يقول: « **أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**».

إذن فيجب علينا أن نطهر أنفسنا من الشرك صغيره وكبيره, قليله وكثيره.

الله -سبحانه وتعالى- يقول في كتابه يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[الأنعام:82], فلما نزلت هذه الآية جاء أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- إليه وقالوا: يا رسول الله كلِّفنا من الأعمال فعملنا, وقد كُلفنا ما لا نطيق – أو شيئا نحو هذا - .... قالوا نزل عليك قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾, فأينا لم يظلم نفسه.

فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : «إنه ليس الذي تذهبون إليه, وإنما المراد بذلك الشرك» أو كما قال -صلى الله عليه وسلم-.

ألم تسمعوا قول لقمان وهو يعظ ابنه ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:13].

إذن الشرك هو موجبٌ لحبوط العمل, والشرك هو موجب لرده, والشرك هو موجب للخلود في النار, فالله -سبحانه وتعالى- يقول على لسان عيسى -عليه السلام- أنه قال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة:72].

الله -سبحانه وتعالى- أخبرنا أنه يغفر الذنوب جميعًا إلا الشرك فإنه لا يغفره, قال -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء:48].

فيا عبد الله حذّر نفسك من الشرك بالله, وفضي عملك من الشرك بالله، فإن عمل المشرك حابط, وعمله مردود, محرمٌ عليه دخول الجنة, ومحتمٌ عليه الخلود في النار,

ومحرمٌ عليه المغفرة, فإياك أن تموت وأنت مشرك، وعليك أن توحد حتى يقبل الله أعمالك, وحتى يغفر ذنبك, وحتى يُدخلك الجنة, وينجيك من النار.

ثم إنَّ الشرك ينقسم إلى قسمين:

شركٌ أكبر: مخرجٌ من الملة, موجبٌ للخلود في النار, يوجب حبوط العمل، ويوجب عدم المغفرة.

فهذا الشرك الأكبر هو أن يدعو العبد مع الله إلهًا آخر, كأن يطلب منه جلب نفع, أو دفع ضر, لا يقدر عليه إلا الله –جل وعلا-, فمن دعا مع الله فمن دعا مع الله إلهًا آخر يطلب منه جلب النفع أو دفع الضر معتقدًا فيه القدرة على ذلك فإنه قد حبط عمله إن كان له عمل صالح, ووجب عليه الخلود في النار, وحُرِّمت عليه الجنة.

الله –سبحانه وتعالى- يقول: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[المؤمنون:117], فسمى الله من دعى غيره كافرًا, ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:60] أي ذليلين, وفي سورة فاطر ذكر الله –عز وجل- نماذج من خلقه, ثم قال في آخر ذلك:﴿...وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ(13)إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:14], وكذلك في آيات أخرى أخبر الله –عز وجل- بأن المشركين لا تنفعهم عبادتهم, ولا تنفعهم أعمالهم, ولو أن لأحدهم ملئ الأرض ذهباً لم يفتدي به.

فيا أخوة إني أدعوكم, وأنصحكم بالتوحيد أن تحرصوا عليه, وأن تتعرفوا على الشرك الذي يناقض التوحيد, وعلى الشرك الذي يخدشه وينقصه, فالتوحيد لا يكون توحيدًا إلا إذا كان لا يكون توحيدًا كاملاً إلا إذا كان سليمًا من الشرك صغيره وكبيره, قليله وكثيره, فهناك أقسام من الشرك لا تُخرِج من الإسلام, ولكنها تنقص التوحيد, وتخدشه, فمثلاً الحلف بغير الله –عز وجل– هذا لا يكون من الشرك الأكبر إلا إذا عظَّم الحالف, إذا عظّم الحالف غير الله –عز وجل– أكثر من تعظيمه لله, فإنه في هذه الحالة – أو مثل تعظيمه لله – فإنه في هذه الحالة يكون من الشرك الأكبر, أما الحلف الذي يجري على اللسان, ولا يكون الإنسان معتمدًا فيه قدرة المحلوف به على ما لا يقدر عليه إلا الله فإنه في هذه الحالة يكون من الشرك الأصغر.

وفي أول الإسلام كان المسلمون يحلفون بغير الله –عز وجل– أحيانًا بل وكثيرًا قبل أن ينهى النبي –صلى الله عليه وسلم– عن ذلك, ف**أولاً**: قال لهم إذا أخطأ الإنسان منكم فحلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله.

وثانيًا: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– نهى عن الحلف بغير الله, نهى عنه نهيٌ بات, حيث كان في سفر فسمع عمر بن الخطاب يقول "ورأس أبي" فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– : **« لا تحلفوا بابائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت »**, قال عمر رضي الله عنه: "فوالله ما حلفت بها جادًا ولا آثرا".

فحينئذٍ نفهم أن الحلف بغير الله يكون من الشرك الأصغر لا من الشرك الأكبر, **كذلك الرياء ينقسم إلى قسمين**: باعث على العمل, وعارض في العمل.

فالباعث على العمل هو رياء المنافقين, إذا كان الإنسان يريد أن يرائي عَمِل, وإن لم يكن فانه لا يعمل, فمن يصلي إذا كان مع الناس, وإذا كان وحده لا يصلي, هذا من الشرك الأكبر, قال الله عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء:142], هذا يسمى رياء باعث على العمل.

لكن العارض للعمل عندما يعمل الإنسان عملاً ويعرض له الشيطان فيدخل في نفسه العجب, أو ما أشبه ذلك فإنه في هذه الحالة يكون الرياء عارضا في للعمل, فلا يوجب الخروج من الإسلام, بل يبقى الإنسان مسلمًا.

كذلك إسناد النعم, إسناد النعم لا ينبغي أن تُسنَد إلى غير الله, وقد علّمنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أن نقول: ((لولا الله ثم فلان لكذا وكذا)), ولا يجوز أن نقول "لولا الله وفلان", إذا قلت "لولا الله وفلان" فقد شركّته مع الله, وحينئذٍ تكون حصل منك الشرك الأصغر.

وهكذا أشياء من الشرك الأصغر الدقيقة أيضًا وهو التطير, والاسترقاء, وما أشبه ذلك, كل هذا من الشرك الأصغر الذي لا يُخرج من الإسلام, ولا يُحبط العمل, ولا يُخلّد في النار, ولا يُوجب عدم المغفرة.

وقد أُختُلِف بالشرك الأصغر هل هو مثل الكبائر؟ يعني يُعاقب صاحبه, ويكون نهايته إلى الجنة؟

أو أنه يكون مُعرضاً للمغفرة, ولا يحصل عليه عقاب أحيانًا ويكون تحت المشيئة مثل الكبائر؟ هذا قول الجمهور.

وقال بعض آل العلم تمشياً مع الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء:48], **قال بعض أهل العلم**: أن الشرك الأصغر لا يُغفَر بل يُعاقب صاحبه, ولكن بعد ذلك تكون نهايته إلى الجنة.

فالذي أُوصيكم به التعرف على ما يناقض الشرك على ما يناقض التوحيد من الشرك, وما ينقصه.

وعليكم بقراءة كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب اقرأوه, واتقنوه.

وكذلك أيضاً توحيد الأسماء والصفات, وأن نَصِف الله –عز وجل– بما وَصَف به نفسه, وبما وصفه به رسوله –صلى الله عليه وسلم–، ونعتقد الفرق بين صفة الله, وصفة غيره, فصفات المخلوق لائقة به, وصفة الخالق لائقة به, فمثلاً: إذا قلنا إذا وصفنا الإنسان بأنه حيّ, ووصفنا الله بأنه حيّ, فهل حياة الإنسان كحياة الرب –سبحانه وتعالى– ؟ الجواب لا.

فحياة الرب قديمة بلا ابتداء, وباقية بلا انتهاء, لا يطرأ عليها النقص بأي وجه من الوجوه, ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾[البقرة:255] إلى آخر الآية, لكن حياة الإنسان هي في الاسم مطابقة لحياة الله –عز وجل– "حاء, وياء, وألف, وتاء مربوطة بعدها" أو "حيّ" كذلك.

إذان فالاشتباه في الأسماء لا يُوجِب الاشتباه في الحقائق, فحياة المخلوق سُبِقت بالعدم وأُتبِعت بالفناء, فلذلك هي لا تكون مثل حياة الله –عز وجل–، كذلك أيضًا حياة المخلوق لا تبقى إلا بإبقاء الله لها, فمن قدر الله أن حياته تتوقف على الطعام,

والشراب "الجن, والإنس" هؤلاء حياتهم لابد فيها من وجود الحياة, والشراب, والنوم, والراحة, وإن تفاوتوا في ذلك، أما الملائكة فليسوا كذلك, فإن حياتهم وإن كانت قد سُبِقت بالعدم فسيتبعها الفناء, حينما قال الله -عز وجل- حينما يأتي تأويل قول الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ(26)وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[الرحمن:27],حينئذٍ سيموت الناس جميعاً, والله —سبحانه وتعالى- حيّ لا يموت, حينئذٍ يطوي السماوات بيمينه, والأراضين بيده الأخرى, ثم يهزهن فيقول ((**أنا الملك أنا الملك, أين الجبارون, أين المتكبرون, لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**)), السماوات مع ضخامتها, وعِظَمها حينئذٍ يطويها الله -عز وجل- كطي السجل, يعني كطي الورق, قال الله —عز وجل-: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[الأنبياء:104], وقال -سبحانه وتعالى- : ﴿وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[الزمر:67], فبعد أن ينفخ إسرافيل في الصور, ويموت جميع الناس لا يبقى أحد أيضًا لا من الملائكة, ولا من المخلوقين جميعًا, فحينئذٍ يأتي تأويل ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ(26)وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[الرحمن:27].

أسأل الله أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى, وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أسئلة:

*ما الواجب على المسلم فعله إذا كان يحلف بالنبي حبًا له؟

ما يجوز حتى ولو كان حباً له, لا يجوز الحلف بالنبي, ولا بجبريل, ولا بأحد من المخلوقين, لا يجوز هذا أبدًا.

عليك يا عبد الله أن تحلف بالله الذي خلقك, والنبي -صلى الله عليه وسلم- هو مخلوق فضّله الله -عز وجل- بالرسالة، فإن كنت تحب النبي -صلى الله عليه وسلم- صادقاً فانظر إلى سنته واتبعه ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران:31]

أحسن الله إليكم جزاكم الله خير يا شيخنا.